



اسم المقال: خصائص المنهج القرآني في الدعوة إلى العقيدة دراسة تحليلية

اسم الكاتب: د. عبدالعزيز حاجي

رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/index.php/library/1822>

تاريخ الاسترداد: 2026/05/12 07:41 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت. لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>



خصائص المنهج القرآني في الدعوة إلى العقيدة دراسة تحليلية

إعداد:

الدكتور عبدالعزيز حاجي*

المخلص

يتناول البحث الحديث عن أهم الخصائص والمزايا التي يتميز بها المنهج القرآني في الدعوة إلى العقيدة بكافة أقسامها (الإلهيات ، النبوات ، الغيبيات) ، ويوضح أن القرآن الكريم قد سلك كل ما من شأنه أن يرسخ العقيدة الصحيحة في العقول والقلوب من دعوة إلى التفكير والتدبر والتحرر من الموانع والعوائق التي تمنع العقل ، وتعوّقه عن ممارسة دوره ونشاطه، وإزالتها في سبيل إعداد الإنسان وتهيئته للتفكير العلمي السليم للوصول إلى العقيدة الصحيحة من خلال الأدلة المتنوعة التي ساقها، ويستعرض جانباً من أقوال كبار العلماء في تميز هذه الأدلة وتفوقها على ما عداها من الأدلة والبراهين التي اعتمدها المتكلمون والفلاسفة خارج النطاق القرآني ، ويختتم بأهم النتائج التي توصل إليها، وزيدتها أن يكون القرآن الكريم هو المنطلق في ترسيخ العقيدة وتمكينها في العقول والأفئدة.

* الأستاذ المساعد في قسم علوم القرآن والحديث في كلية الشريعة بجامعة دمشق.

Characteristics of the Qur'anic method in calling to the doctrine Analytical study

Abdul Aziz Hajji*

Abstract

The research deals with the most important characteristics and advantages that characterize the Qur'anic approach in calling for the doctrine in all its sections (divinity, prophecies, unseen), and explains that the Qur'an has taken all means that would establish the correct doctrine in the minds and hearts by calling to think meditate and ridding of the obstacles and impediments that prevent the mind, and hinder it from exercising its role and activity, and finally remove it in order to prepare the human being for scientific thinking to reach the correct faith through the various Qur'anic evidences and this research presents certain sayings of the leading scholars which mention to the distinction of there evidence and their superiority over other evidences adopted by the ologiens and philosophers outside the Qur'anic scope, and concludes with the most important conclusions and its gist that the holy Quran is the starting point in establishing the faith in minds and rooting it in hearts.

* Assistant Professor in the Department of Quran and Hadith Sciences - Faculty of Sharia - University of Damascus.

المقدمة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي نَزَلَ الْفُرْقَانَ على عبده ليكون للعالمين بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله وسراجًا منيرًا، وتحدّى به الإنسَ والجنَّ على أن يأتوا بأقصرِ سورةٍ منه فلم يجدْ به (1) قديرًا، وضمنه كلَّ ما فيه صلاحُ البشريّة، وتقويمُ اعوجاجها، وتركُ ما لحق بها من انحرافاتٍ، وهدايتها إلى الأفضل والأحسن على الأصعدة كافةً وفي كلِّ زمانٍ ومكانٍ، فقال - تعالى - : { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا } [الإسراء:9].

وقال أيضًا :{.. قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [المائدة:16.15].

وهو محكمٌ ومفصلٌ لا يأتيه الباطلُ - كما وصفه المولى سبحانه - فقال: { كتابٌ أُحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيمٍ خبيرٍ } [هود:1] و أنه { لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ } [فصلت:42] والصلوة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمةً للعالمين محمد الذي كلفه ربه بتوضيح معاني القرآن ونشر مبادئه ، وما جاء به من توحيد وتشريع وأخلاقٍ وغير ذلك - بين الناس لتتحقق الحكمة والغاية من إنزاله في إصلاح المجتمعات البشريّة والتدرج بها إلى الرقي في المجالات كافة ، فقال - تعالى . { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } [النحل:64] والمقصود بالكتاب - على ما ذكره المفسرون (2): القرآن، والصّميْرُ في " لهم": للناس، والذي اختلفوا فيه: من أمور التوحيد والقدر وأحوال البعث والمعاد

(1) تعبير استعمله البيضاوي في مقدمة تفسيره ، و"القدير" بمعنى " القادر" والباء في "به" بمعنى "على" أي: لم يجد قادرًا عليه والمراد: نفي أصل القدرة للرد على القائلين بـ "الصرفة" وغيرهم في إعجاز القرآن . ينظر: حاشية الكازروني على البيضاوي:4/1.

(2) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: 359، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي: 291/2.

وأحكام الأفعال.. فقام . عليه الصلاة والسلام . بهذه المهمة العظيمة خير قيام من تفسير آياته وتوضيح عقيدته وتبيين شريعته، وحثَّ المسلمين على اتخاذه حكماً فصلاً بينهم، والتأسي به في أمورهم كلها في حديث مشهور أخرجه الترمذي وغيره عن علي بن أبي طالب . رضي الله عنه . أنه قال : "..... سمعتُ رسولَ الله . صلى الله عليه وسلم . يقول : ألا إنها ستكونُ فتنةٌ، فقلتُ: ما المخرجُ منها يا رسولَ الله ؟ قال : كتابُ الله، فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبرُ ما بعدكم، وحكمُ ما بينكم، وهو الفصلُ ليسَ بالهزلِ، مَنْ تركهُ من جبارٍ قصمه اللهُ، ومَنْ ابتغى الهدى في غيره أضلَّهُ اللهُ ، وهو حبلُ اللهِ المتينُ، وهو الذِّكرُ الحكيمُ، وهو الصِّراطُ المستقيمُ . هو الذي لا تزيغُ به الأهواءُ، ولا تلتبسُ به الألسنةُ، ولا يشبعُ منه العلماءُ، ولا يخلقُ على كثرةِ الردِّ، ولا تنقضي عجائبُهُ . هو الذي لم تنته الجنُّ إذ سمعته حتى قالوا: { إِنَّا سَمِعْنَا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشدِ فآمنَّا به.. } [الجن: 1-2] مَنْ قَالَ به صدق ن وَمَنْ عملَ به أجر ، وَمَنْ حكمَ به عدل ، وَمَنْ دعا إليه هدى إلى صراطٍ مستقيمٍ ⁽¹⁾ ومن هنا؛ فإنه لم يُعرف أن كتاباً إلهياً أو كتاباً بشرياً حظي بمثل ما حظي به القرآن الكريم من وجوه الرعاية والعناية في تلقيه وحفظه وضبطه وتفسيره وتوضيح تعليماته وبيان مقاصده التي أنزل من أجلها ⁽²⁾ .. وأهم هذه المقاصد قاطبة الدعوة إلى العقيدة الصحيحة لتكون الأساس الصالح الذي يُبنى عليه المجتمع؛ إذ إن العقيدة الصحيحة هي الأساس في بناء الأمم الحية ونشوء الحضارات النافعة للبشرية جمعاء، ولا وجود للشريعة في الإسلام إلا بوجودها، ولا ازدهار لها إلا في ظلها..

⁽¹⁾ ينظر : سنن الترمذي، باب ما جاء في فضل القرآن 172/4 . ويقول عنه : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول ن وفي الحارث . وهو راوي الحديث عن علي . مقال . و في كتاب " فضائل القرآن : 8 . 9 لابن كثير بعد أن ساق الحديث وما قاله الترمذي فيه، أضاف : " قلت : لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات، بل قد رواه محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي عن الحارث؛ فبريء حمزة في عهده، على أنه.. وإن كان ضعيف الحديث. فإنه إمام في القراءة، والحديث مشهور من رواية الحارث الأور وقد تكلموا فيه، بل قد كذب بعضهم من جهة رأيه واعتقاده: أما أنه تعمد الكذب في الحديث فلا! والله أعلم. وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين . رضي الله عنه . وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روي له شاهد عن عبدالله بن مسعود . رضي الله عنه . عن النبي صلى الله عليه وسلم"

⁽²⁾ ينظر : القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين ، محمد الصادق عرجون: 198، تفسير آيات العقيدة ، حاجي 9/1.

وقد رأث هذه الدراسة الموجزة - أن تلقي بعض الضوء على شيء من خصائص منهج القرآن الكريم في عرضه للقضايا العقديّة ودعوته إلى العقيدة الصحيحة من خلال آياته الكثيرة الواردة في هذا الشأن، وأن تقف على طبيعة الأدلة التي ساقها القرآن من أجل تثبيت الإيمان في القلوب وتمكينه فيها، وتمييزها وتفوقها على الأدلة التي استدل بها الفلاسفة والمتكلمون في مؤلفاتهم. ومن هنا فإن مشكلة البحث تتمثل في السؤال الرئيسي في هذا البحث، وهو: ماهي خصائص المنهج القرآني في عرضه للقضايا العقديّة ودعوته إلى العقيدة الصحيحة، وبم يتميّز عن غيره من المناهج؟، والهدف منه هو الوقوف على هذه الخصائص والميزات بنوع من الاختصار والتركيز.

وتتبع أهميتها من أهمية البحث في العقيدة التي جاء بها القرآن الكريم لتكون الأساس المكين في توحيد الأمة، وتحلقها حول كتاب ربها.. ومما دفعني إلى الكتابة في هذا المجال أمران: الأول: زغبتي القويّة في التعمق في مقاصد القرآن وأهمها - كما سبق - إثبات العقائد.. والثاني: المشاركة في بيان أهمية العقيدة وضرورتها للبشرية من خلال مثل هذه الأبحاث في مواجهة التيارات الإلحادية المعاصرة وغيرها..

وقد جاءت الدراسة في مقدّمة وثلاثة مطالب وخاتمة، تناولت المقدّمة أهمية البحث والباعث على اختياره والخطّة المرسومة والمنهج المتبع، وألمحت إلى الدراسات السابقة في الموضوع بصورة عامّة، وتحدّث المطلب الأول: عن منهج القرآن في إعداد الإنسان وتهيئته للتفكير العلمي السليم من خلال تحرير عقله ودعوته له لاستخدام ملكاته الفكرية دعوة صريحة لا تقبل التأويل، وتناول المطلب الثاني: الكلام عن شمولية المعالجة القرآنية للقضايا العقديّة وتعدّد الأدلة والأساليب وتنوعها، ورصد المطلب الثالث: تميّز الأدلة القرآنية وتفوقها على ما عداها في ضوء أقوال بعض العلماء من أئمة المتكلمين الكبار عنها، وجاءت الخاتمة لتلخص أهمّ النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وأمّا المناهج المتبعة في إعدادها - فهي الاستقراء، والوصف، والتّحليل وذلك باستقراء الآيات القرآنية التي تحدّثت عن القضايا العقديّة ووصف منهجها وطريقاتها في العرض مع

تحليل العناصر والأفكار التي اشتملت عليها.. وأما الدراسات السابقة في الموضوع فهي عديدة ومتنوعة⁽¹⁾، وقد أفادت منها هذه الدراسة أيما إفادة، ولكنها ليست كما أرى. تكراراً لعمل سابق، وإنما لها ما يميزها عن غيرها في طريقة اختيار المعلومات، وطريقة عرضها واستثمارها لصالح البحث.. وبهذا أرجو أن أكون قد وفيت الموضوع بعض حقه والله من وراء القصد.

المطلب الأول:

إعداد الإنسان وتهيئته للتفكير العلمي السليم

لقد أولى القرآن الكريم اهتماماً كبيراً بجوانب العقيدة، وجعلها أهم مقصد من مقاصده كما يقول بديع الزمان النورسي (1379هـ) ما نصه: "فاعلم أن المقصد الأصلي في القرآن الكريم إرشاد الجمهور إلى أربعة أساسيات، هي: إثبات الصانع الواحد، والنبوة، والحشر، والعدالة"⁽²⁾. وقد سلك الكتاب الكريم - وفق منهج علمي متكامل - كل ما من شأنه أن يمكن المبادئ العقيدية الصحيحة في العقول والقلوب؛ فدعا إلى التفكير والتدبر والتحرر من كل الموانع والعوائق التي تمنع العقل وتوقفه عن ممارسة دوره ونشاطه، وإزالتها في سبيل إعداد الإنسان وتهيئته للتفكير العلمي السليم للوصول إلى العقيدة الصحيحة من خلال الأدلة المتنوعة التي يسوقها القرآن الكريم لذلك، ومن وسائل إزالة العوائق:

(1) لم أقع على دراسة سابقة بعنوان مطابق تماماً للعنوان الذي اخترته، وإنما بعنوانات أخرى تناولت من جملة ما تناولته القضايا التي تناولته في البحث، وهي موجودة في فهرس المصادر والمراجع مثل: منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، والنبأ العظيم، والقرآن والنظر العقلي.
(2) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: 177.

أولاً: ذم التقليد⁽¹⁾ الأعمى والتعصب للأعراف والعادات الباطلة الموروثة:

فالقرآن الكريم لا يقبل من المسلم أن يلغي عقله ليجري على العادات والأعراف الباطلة التي ورثها عن آبائه وأجداده ، ولا يقبل منه أن يلغي عقله خنوعاً لمن يسخره باسم الدين من أصحاب السلطة الدينية الزائفة المبنية على العقائد الباطلة، ورهبة من بطش الأقوياء وطغيان الأشداء من أصحاب السلطة الدنيوية في غير ما يرضي العقل والدين⁽²⁾. ومن شواهد ذلك في القرآن الكريم:

- بشأن تقليد الآباء: قوله تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْقَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُو كَانُوا آبَائِهِمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ } [البقرة:170]. وقوله تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُو كَانُوا الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ } [لقمان:21]. وقوله تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُو كَانُوا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ } [المائدة:104].

- وبشأن أصحاب السلطة الدينية من الأحرار والرهبان: قوله تعالى: { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ... } [التوبة:31]. وقوله تعالى: { لِيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنْ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُصَدِّدُونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ... } [التوبة:34].

(1) التقليد: قبول قول غيره بلا حجة، أو أن يأخذ المكلف بقول غيره من غير أن يفقه على دليله . والقول فيه - باختصار - عند العلماء، قيل: المقلد مؤمن عاص - إن كان فيه أهلية النظر وإلا فلا عصيان، وهو المعتمد، وقيل: مؤمن من غير عصيان، وقيل: كافر . والقول الثاني والثالث ضعيفان، والأول هو المشهور، وصححه غير واحد من المحققين على أن التاج السبكي (771هـ) حقق في إيمان المقلد . بكسر اللام - البيان عن حاله؛ وهو إن كان يجزم بصحة قول المقلد . بفتح اللام جزماً قوياً بحيث لو رجع المقلد - بفتح اللام - لم يرجع هو - كفاه، وإلا لا! ومحل الخلاف في المقلد الجازم، وأما الشاك والظان فمتفق على عدم صحة إيمانهما ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي:2/ 211 فما بعد، كتاب البداية من الكفاية في الهداية، الصابوني: 154، شرح جوهرة التوحيد، الباجوري:37، 55 فما بعد، منهج السلف في العقيدة حمدي عبدالعال:61 فما بعد، علم التوحيد عند خالص المتكلمين، عز العرب: 84/1 فما بعد، تفسير آيات العقيدة، حاجي: 48/1 هـ(1).

(2) ينظر: التفكير فريضة إسلامية، العقاد:24 وما بعد، القرآن والنظر العقلي، فاطمة إسماعيل: 104 وما بعد، التفكير الفلسفي في الإسلام، عبدالحليم محمود: 40 . 14 .

- وبشأن أصحاب السلطة الذنوبية الذين يُمارسون القهر والاستبداد بجميع أشكاله - الأمر الذي يؤدي إلى تعطيل العقل عن التفكير السليم نتيجة الإرهاب المتسلط، والاهتمام بما يُرضي المُستبدّ قوله - تعالى :- {..يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ. وَقَالُوا رَبَّنَا أَعْطْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأُصَلِّبْنَا السَّبِيلَا...} [الأحزاب: 66، 67].

فالتقليد الأعمى يلغي عمل العقل ، ويُقطع طريق العلم على أصحابه، ويحرمهم من الفهم، وأنه شأن كما في صريح بعض الآيات . الكافرين ممّا يدلُّ على أنّ المرء لا يكون مؤمناً إلا إذا عقل دينه؛ فاقتنع به عن بصيرة وفهم لا لأجل الآباء والأجداد وغيرهم. يقول الفخر الرازي (606هـ) : "...أنه تعالى ذمّ التقليد فقال حكاية عن الكفار: {..إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ} [الزخرف: 23] وقال: {..بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا..} [لقمان: 21].... وكلُّ ذلك يدلُّ على وجوب النظر والاستدلال والتفكير وذمّ التقليد؛ فمن دعا إلى النظر والاستدلال كان على وفق القرآن ودين الأنبياء ومن دعا إلى التقليد كان على خلاف القرآن وعلى دين الكفار...⁽¹⁾، ولذلك نُقل عن محققي علماء العقيدة والتفسير إجماع الأمة " على إبطال التقليد في العقائد"⁽²⁾. يقول عبدالله بن عمر البيضاوي (685هـ) في تفسيره لقوله تعالى: {..بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا..} [لقمان: 21] من جملة ما يقول - "وهو منع صريح من التقليد في الأصول"⁽³⁾. ودعوة القرآن الكريم إلى ذمّ التقليد وتركه هي تهيئة الذهن بقوة لممارسة قاعدة من أهم قواعد مناهج البحث العلمي المتمثلة باستبعاد أساليب الفهم المتوارثة التي تُؤدّي . في أغلب الأحيان . إلى نتائج خاطئة⁽⁴⁾.

(1) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) : 327/2 [22 البقرة].

(2) على ما ذكره الإمام القرطبي في تفسيره للآية (170) من سورة البقرة: 212/2 وما بعد، وينظر: البيضاوي مفسراً، حاجي: 354 - 355 ، القرآن والنظر العقلي: 105 وما بعد.

(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 545. وينظر: كبرى اليقينيات الكونية ، البوطي: 33.

(4) ينظر: القرآن والنظر العقلي، فاطمة إسماعيل: 106، العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث ، السيد الصالح : 54 فما بعد .

ثانيًا: اجتناب الظنّ وذمّ الهوى:

إنّ القرآن الكريم . وهو بسبيله إلى بناءٍ منهجٍ علميٍّ متكاملٍ للوصول إلى العقيدة الصحيحة. دعا إلى اجتناب الظنّ في مسائل العقيدة، وذمّ الهوى؛ لأنّ الظنّ لا يُعني من الحقّ شيئاً، ولأنّ " المظنون لا يفيد اليقين.. والمبني على الظنّ أولى أن يكون ظنّاً "(1) ومما ورد في القرآن بخصوص ذلك :

- قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى. وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} [النجم:27].
وقوله تعالى: { وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ لِيُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ}[الأنعام:116]، وقوله: {سَيُفْؤُا الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَافُوا بِأَسْنَانِهِمْ فَلَنْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} [الأنعام:148].
فالمُتَّبِعُونَ للظنِّ وُصِفُوا بعدمِ العلمِ والكذبِ والتَّخَرُّصِ؛ لذلك فإنّ " الاكتفاء بالظنِّ في أصول الدين غير جائز "(2) يقول نظام الدين النيسابوري (850هـ) - في تفسيره لقوله تعالى:

{إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأعراف:30]: "... وفيه أنّ مجرّد الظنّ والحِسبان لا يكفي في أصول الدين، بل لا بدّ فيه من القطعِ واليقين.. "(3) وليس المقصودُ بهذا الظنّ المحظورِ الظنّ الذي اضطلح عليه الفقهاء في الأمور التشريعية " فإنّهم أرادوا به العلمَ الرَّاجِحَ في النَّظَرِ مع احتمال الخطأ احتمالاً مَرجوحاً لتعسر اليقين في الأدلّة التَّكْلِيفِيَّةِ... "(4) وبخصوص ذمّ الهوى؛

(1) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): 330/2. وينظر : القرآن والنظر العقلي: 106 وما بعد.

(2) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): 565/3. في تفسيره للآيتين (78 - 79) من سورة البقرة

(3) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 424/3.

(4) تفسير التحرير والتوير، ابن عاشور: 26/8 عند تفسيره للآية (116) من سورة الأنعام. وينظر . في جواز الظنّ في الفروع: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): 565/3 في تفسيره آيتي البقرة المار ذكرهما، ومنهاج الوصول إلى علم الأصول، البيضاوي: 39 والقرآن والنظر العقلي: 106 . 107 .

فلأن الأحكام المبنية على الهوى تكون فاسدة وباطلة لاختلاف الأهواء وعدم اتقادها ،
وحيث يوجد الهوى ينتفي العلم والحق ويظهر الضلال والضياع والظلم. ومن شواهد ذم
الهوى في القرآن الكريم:

. قوله - تعالى . : {أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا} [الفرقان: 43] ،
وقوله تعالى: {بَلْ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ
مَنْ ناصرين} [الروم: 29]. ففي الآية الأولى يخاطب المولى سبحانه وتعالى رسوله ويقول
ما معناه: " مَنْ كَانَ فِي طَاعَةِ الْهَوَى فِي دِينِهِ يَتَّبِعُهُ فِي كُلِّ مَا يَأْتِي وَيَذُرُّ لَا يَتَّبِعُ
دَلِيلًا وَلَا يُضْغِي إِلَى بُرْهَانٍ فَهُوَ عَابِدٌ هَوَاهُ وَجَاعِلُهُ إِلَهَهُ.. "(1)؛ فهذا الذي لا يرى معبودًا
إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى، أفتتوكل عليه وتجبره على الإسلام! وفي
الثانية يبين أن الذين ظلموا بالإشراك اتبعوا أهواءهم جاهلين هائمين على وجوههم؛ فمن
يقدر على هدايتهم! وليس هناك من يخلصهم من الضلالة، ويحفظهم من آفاتهم (2)؛
فاتباع الهوى مضاد لما أمر به الله سبحانه وتعالى من النظر والرجوع إلى القرآن الكريم
وإلى السنة النبوية للوقوف على العقيدة الصحيحة واعتقادها.

ثالثاً: الدعوة إلى النظر والتفكير:

لم يكتف المولى سبحانه وتعالى بالدعوة إلى نبذ التقليد واجتناب الظن في مسائل
العقيدة وبذم الهوى المفسد للحياة . بل حرص في كثير من آياته على النظر والتفكير في
ملكوت السموات والأرض، والتأمل في بديع مخلوقاته وعجائب صنعه للاستدلال على
وجود الخالق العظيم ووحدانيته واتصافه بجميع صفات الكمال، وإثبات نبوة الأنبياء
عموماً، ونبوة محمد - عليه الصلاة والسلام - خصوصاً، وإثبات البعث والجزاء والقضايا
الغيبية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم بوضوح تام؛ فالقرآن الكريم كله - على حد قول

(1) الكشاف، الزمخشري: 282/3. وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: 481، ومدارك التنزيل وحقائق
التأويل، النسفي: 168/3..

(2) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: 538.

ابن رُشدٍ (595هـ) " إنَّما هو دعاءٌ إلى النَّظَرِ والاعتبارِ، وتبنيَّةٌ على طرقِ النَّظَرِ.."⁽¹⁾ ومن شواهدِ القرآنِ في الحَصِّ على النَّظَرِ والتفكُّرِ والاعتبارِ:

- قوله تعالى: {وَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف:185]، وقوله: {قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتِ وَالنَّذْرَ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} [يونس:101]، وقوله: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ} [الطارق:5]، وقوله: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران:190-191]، وقوله: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ. يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ} [النور:43-44] إلى غير ذلك من الآياتِ القرآنيَّةِ الكثيرةِ - الأمرُ الَّذي جعلَ الكثيرينَ من العلماءِ يرونَ أنَّ النَّظَرَ في معرفةِ الله واجبٌ⁽²⁾؛ يُقولُ القاضي أبو بكرٍ الباقلائيُّ (403هـ) في حديثه عن الواجبِ على المكلفِ: "وإذا صحَّ وجوبُ النَّظَرِ؛ فالواجبُ على المكلفِ النَّظَرُ والتفكُّرُ في مخلوقاتِ الله، لا في ذاتِ الله، والدليلُ عليه: قولُهُ تعالى: {وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [آل عمران:191] وَلَمْ يَقُلْ: في الخالقِ، وأيضًا قولُهُ تعالى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} [الغاشية:17]؛ فالنَّظَرُ والتفكُّرُ والتكليفُ يكونُ في المخلوقاتِ، لا في الخالقِ.."⁽³⁾، ويَرى القاضي عبد الجبارِ الهمذانيُّ (415هـ) في تفسيره قوله تعالى: {إِنَّ فِي

(1) مناهج الأدلة في عقائد الملة: 150. وينظر: القرآن والنظر العقلي: 157، منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، جمعة عبدالعزيز: 121.

(2) ينظر: طوابع الأنوار من مطالع الأنظار، البيضاوي: 68، المواقف، الإيجي: 28، التحقيق التام في علم الكلام، الظواهري: 34، القول السديد في علم التوحيد، أبو دقيقة: 69، والمدخل إلى دراسة علم الكلام، حسن الشافعي: 140.

(3) الإنصاف في ما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به: 29.

اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض آياتٍ لقومٍ يتقون [يونس:6] ما يدلُّ على وجوب النظر؛ لأنه يكشف عن الحقيقة، ويوصل إلى المعرفة الصحيحة، فيقول: ".يدلُّ على وجوب النظر، وأنه يفضي إلى المعرفة والحق؛ لأنه نَبَّه بهذه الآية على الدلالة في الوجه الذي قد ذكره..."⁽¹⁾ إلى غير ذلك مما قيل في هذا المجال.

المطلب الثاني:

شمولية المعالجة القرآنية للقضايا العقديّة وتعدّد الأدلّة وتنوعها

على الرغم مما سبق ذكره من أنّ القرآن الكريم دَمَّ التقليد ودَعَا إلى اجتناب الظنِّ والهوى، وحَضَّ على النظر والتفكير والاعتبار في القضايا العقديّة فإنَّ الله - سبحانه وتعالى لم يكلِّ الإنسان إلى عقله واجتهاداته للوصول إلى العقيدة الصحيحة، وإنما ضمَّن القرآن الكريم أصولها ومسائلها بالتفصيل من خلال آياته الكثيرة؛ لذلك فإنَّ العقيدة شَغَلَتْ

(1) متشابه القرآن: 1/353 354 فقرة: 32. ويُنظر: شرح الأصول الخمسة: 39، وتفسير آيات العقيدة: 2/689.

حيثُ كبيراً جداً من آياتِ القرآن؛ فإنَّ القرآنَ كلُّه في قضايا العقيدة ما عدا ما وردَ في الأحكامِ الشرعيَّةِ على حدِّ قولِ الفخرِ الرَّازي (606هـ) حيث يقول - في معرضِ حديثه عن أهميَّةِ علمِ الكلامِ (السَّني): "...أنَّ الآياتِ الواردةَ في أحكامِ الشَّريعةِ أقلُّ من ستمائةِ آيةٍ، وأمَّا البواقي ففي بيانِ التَّوحيدِ والنُّبوةِ، والرِّدِّ على عبَدَةِ الأوثانِ، وأصنافِ المشركينَ، وأمَّا الآياتُ الواردةُ في القصصِ؛ فالمقصودُ منها معرفةُ حكمةِ اللهِ تعالى وقدرته...⁽¹⁾، ويقولُ في تفسيرِ قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرِ مَعْرُوشَاتٍ} [الأنعام:141]: "اعلم أنَّ اللهَ تعالى - جعلَ مدارَ هذا الكتابِ الشَّريفِ على تقريرِ التَّوحيدِ والنُّبوةِ والمعادِ وإثباتِ القَضَاءِ والقَدْرِ، وأتَّه تعالى بالغِ في تقريرِ هذهِ الأصولِ...⁽²⁾ ومن نماذجِ مُعالجةِ القرآنِ الكريمِ للقضايا العقديَّةِ:

أولاً: في مجالِ الإلهيَّاتِ:

أُظنَّ القرآنَ الكريمُ في الحديثِ عن المسائلِ التي تُندرجُ تحتِ القسمِ الأوَّلِ من أقسامِ علمِ العقيدةِ (الإلهيات) وهي المسائلُ التي يُبحثُ فيها عن وجودِ اللهِ وصفاته - وفصلَ فيها أيما تفصيلٍ، فنذكرُ الأدلَّةَ والبراهينَ على وجودِ اللهِ ووحدانيَّته، وتحدَّثَ عن ما له من الصِّفاتِ وما له علاقةٌ بهذهِ الصِّفاتِ، ففي مجالِ الاستدلالِ على وجودِ اللهِ وَزِدَتْ آياتٌ كثيرةٌ تضمَّنَتْ أدلَّةً وبراهينَ فطريَّةً وكونيَّةً وعقليَّةً على ما استخلصه منها المفسِّرونَ والمتكلِّمونَ . فهناك نصوصٌ كثيرةٌ تُشيرُ إلى الفِطْرةِ التي فطرَ اللهُ الإنسانَ عليها، وعبرَ عنها بعضهم بـ "برهانِ الفِطْرةِ"⁽³⁾ وهي: ما يشعُرُ به كلُّ إنسانٍ داخلَ نفسه من الإقرارِ بوجودِ إلهٍ خالقٍ للكونِ مدبِّرٍ له، " ولولم يستخدِم طرقَ البرهنةِ المختلفةِ، وإنْ كانَ يحتاجُ إلى أنْ يلتفتَ إلى نفسه، ويجرِّدها من الغفلةِ ليحسَّ به إحساساً قوياً واضحاً"⁽⁴⁾ ومن شواهدِ الآياتِ التي استدلَّ بها على فِطْريَّةِ وجودِ الله:

(1) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): 8988/2.

(2) المصدر السابق نفسه: 210/13. وينظر: أيضاً: 96/14، وتفسير آيات العقيدة: 487/2.

(3) كما ذكرَ القاسميُّ في كتابه: دلائل التوحيد: 22.

(4) لمحات من الفكرِ الكلامي، حسن الشافعي: 12. وينظر: تفسير آيات العقيدة: 94/1.

. قوله تعالى: { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ } [الأعراف:172]، وقوله: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الروم:30]، وقوله: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} [الزخرف:9]، وقوله: {وَأِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ صُورَهُ مَرَّ كَأَن لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [يونس:12]. إلى غيرها من الآيات. فهذه الآيات من جملة الآيات التي استدلت بها القائلون بفطرية وجود الله . سبحانه وتعالى، يقول إسماعيل بن كثير (774هـ) في تفسيره الآية الأعراف [172] المسماة بـ "آية الميثاق": " يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ اسْتَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ بَنِي آدَمَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّ اللَّهَ رَبُّهُمْ وَمَلِيكُهُمْ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، كَمَا أَنَّهُ فَطَرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَجَبَلَهُمْ عَلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ..} [الروم:30] وفي الصحيحين عن أبي هريرة . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ⁽¹⁾.. ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف : إن المراد بهذا الإِشهاد إنما هو فطرتهم على التوحيد كما تقدّم في حديث أبي هريرة...⁽²⁾، ويرى ابن قيم الجوزية أن تفسير الفطرة في قوله تعالى: {..فِطْرَتَ اللَّهِ..} بمعنى الاعتراف بوجود الله هو التفسير الذي تؤيّدُهُ دَلالاتُ الكتابِ والسنةِ والآثارِ وأقوالِ السلفِ⁽³⁾، ويقولُ الغنيمي الميداني (1298هـ) في شرحه للعقيدة الطحاوية: "واعلم أن المصنّف قد أعرَضَ عن بحثِ الوجودِ واكتفى بما هو ظاهرٌ في مقامِ الشهود؛ ففي التنزيلِ {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ..} [إبراهيم:10] {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ

(1) ينظر: صحيح البخاري بشرح فتح الباري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي 219/3 (1359)، وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة 157/16. 158 (2658). ولفظ الصحيحين: "ما من مولود إلا يولد...".

(2) تفسير القرآن العظيم: 272/2 وما بعد

(3) ينظر: شفاء العليل: 302 وما بعد

مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ...} [لقمان:25] فوجود الحق ثابت في فطرة الخلق كما يشير إليه قوله تعالى: {..فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا..} [الروم:30] ويومئ إليه حديث: "كلُّ مولودٍ يولدُ على الفِطْرَةِ" وإنما جاء الأنبياء لبيان التوحيد...⁽¹⁾. وأختتم الحديث عن دليل الفطرة في القرآن الكريم بما يذكره الشيخ محمد عبده في تفسير قوله - تعالى: {كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ. فَمِنْ شَاءَ ذَكَرْهُ} {عبس:12.11} حيث يقول: "...ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ الهداية التي يسوقها الله إلى البشر على السن الرسل ليست مما يحتال لتقريره في النفوس وإيجاده في القلوب، وإنما هي تذكرة تنبيه الغافل إلى ما غرر الله في فطرته من الخير، وأودعه غريزته من وجدان معرفة الخالق في الخلقة...{فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى} [الأعلى:9] ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَزِيدَ بَيَانًا، وَيُوضِّحَ لَنَا أَنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ وَتَوْحِيدَهُ لَيْسَا مِنَ الْعَقَائِدِ الَّتِي يَلْزَمُ أَنْ تَنْشَأَ فِي الْقُلُوبِ بَلْ هُمَا مَرْكَوزَتَانِ فِي الْحَبْلَةِ، وَلَا تَحْتَاجَانِ إِلَّا إِلَى التَّنْكِيرِ...⁽²⁾ إلى غيرهم من المفسرين والعلماء الذين يرون أن القرآن الكريم أشار في كثير من آياته إلى الأدلة الفطرية على وجود الله وتوحيده.

ومن شواهد الآيات القرآنية الكثيرة التي تضمنت الأدلة الكونية والعقلية على ما ذهب إليه العلماء:

- قوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلْنَا اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [البقرة:164]، وقوله: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ . قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [القصص:72.71] وقوله: {سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [فصلت:53] وقوله: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ

(1) شرح العقيدة الطحاوية: 55.

(2) تفسير جزء عم: 17. 18. وينظر: تفسير آيات العقيدة: 570/2.

هُمُ الْخَالِقُونَ. أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ} [الطور: 35-36] إلى غير ذلك من عشرات الآيات القرآنية في هذا المجال. وقد أخذ من هذه الآيات وأشباهاها الكثير من الأدلة الكونية والعقلية بصورتها الواضحة البعيدة عن التعقيدات (1) الموجودة في بعض كتب علم الكلام عند عرض مثل هذه الأدلة، ومن أشهر هذه الأدلة والبراهين: دليل الاختراع: ويسمى أيضًا بـ "دليل الخلق" و"دليل الصنع أو الحدوث"، ويُعد من أعظم الأدلة، وأبسطها حيث يدور حول أمرٍ بدهيٍّ، وهو: أن هذه الموجودات مخترعة وأن كلَّ مخترعٍ فله مخترعٌ وأنَّ كلَّ مخلوقٍ لابدَّ له من خالقٍ، وأنَّ الموجودات لا بدَّ لها من مُوجدٍ، بعباراتٍ مختلفةٍ والغاية واحدة. (2) وقد وردت الإشارة إليه في أكثر من ثمانين آيةً في مواضع متفرقةٍ من القرآن الكريم.

دليلُ العناية: وهو مكملٌ لـ "دليل الاختراع" ويسمى أيضًا بـ "الإتقان" و"التقدير والإحكام" وعند بعض الفلاسفة "علة الغائية" (3) وله أسماءٌ أخرى. وفي القرآن الكريم عشرات الآيات التي تُوجِّه أنظار النَّاسِ إلى عناية الله بالكون وتنظيمه له، ويعتمد هذا الدليلُ بأسمائه وفروعه المتعددة على ما يلاحظه الإنسان من الإتقان التبعي في بناء الكون وفي تراكيب أجزائه وذراته الدقيقة وتطابقها مع بعضها تطابقًا مُحكمًا، وأنَّ هذا الوجهُ المُتقنُ قُصِدَ منه العناية بالإنسان والاهتمامُ بشأنيه. وقد وجَّه الأنظار إلى هذه الأدلة القرآنية كثيرٌ من العلماء، وفي مقدمتهم: ابن رشد الفيلسوف (595هـ) الذي رأى أنَّ الأدلة على وجود الله يجب أن تكون بديهيةً سهلةً وغير معقَّدة، وهذا الأمر لم يتوقَّر - حسب رأيه - إلا في الأدلة التي ساقها القرآن الكريم، وهي التي استخدمها الفلاسفة أيضًا،

(1) ينظر: مناهج الأدلة في عقائد الملَّة، ابن رشد: 136.

(2) ينظر: المصدر السابق نفسه: 152، ومفاتيح الغيب (التفسير الكبير): 97/2، وإشارات المرام، البيضاوي: 83، وإيثار الحق على الخلق، ابن الوزير: 50 فما بعد، والتَّحقيق النَّام في علم الكلام، الظواهري: 48 وما بعد.

(3) العلة الغائية، هي عبارة عن القصد الذي يدفع الإنسان إلى تحقيق عملٍ ما من الأعمال؛ فالقصد: العلة والعمل هو المعلول أي: أن يكون وجود المعلول من أجل العلة، ومن شأن العلة أن تسبق المعلول في الوجود الذهني وتتأخَّر في الوجود الخارجي، وليس معنى الاستدلال بهذه الظاهرة في الوجود على وجود الله. أن تُعلَّل أفعال الله بالعلل الغائية، ولكن المقصود أن الكوكب مركَّب في وجوده على نحوٍ تنظيميٍّ معيَّن يستتبُّ غاياتٍ مهمَّة للإنسان. ينظر: التعريفات للجرجاني: 168، وكبرى اليقينيَّات الكونية للبوطي: 88، والبيضاوي مفسَّرًا، حاجي: 356هـ (3).

وقد عاب على بعض الأدلة التي استدل بها المتكلمون على وجود الله بقوله بعد إنكاره لشرعية الطرق المتبعة لدى بعض المتكلمين: "فما هي الطريقة الشرعية التي نبتة الكتاب العزيز عليها، واعتمدها الصحابة رضوان الله عليهم؟ قلنا: الطريق التي نبتة الكتاب العزيز عليها. تنحصر في جنسين:

أحدهما: طريق الوقوف على العناية بالإنسان، وخلق جميع الموجودات من أجلها، ولنسم هذه /دليل العناية/، والطريقة الثانية: ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات، مثل: اختراع الحياة في الجماد والإدراكات الحسية والعقل، ولنسم هذه /دليل الاختراع/..⁽¹⁾ ثم يشير إلى أصول هاتين الطريقتين بالتفصيل، ويستعرض كثيراً من الآيات القرآنية التي ذكرت نماذج منها، ويذكر الإمام الرّازي (606هـ) في تفسير قوله - تعالى: {يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا..} [الأعراف:54] كلاماً طويلاً في الدفاع عن التأمل والنظر في الكون للوصول إلى المكون إلى أن يقول: "إذ اثبت هذا، فنقول: من الناس من اعتقد أن جملة هذا العالم محدث، وكل محدث فله محدث، فحصل له بهذا الطريق إثبات الصانع..."⁽²⁾ إلى غير ذلك مما قيل في شرح هذه الأدلة .

برهان الإمكان والوجوب: ويعتمد هذا البرهان على أن جميع الموجودات في الكون "أمور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة، وأنحاء مختلفة؛ إذ كان من الجائز مثلاً أن لا تتحرك السموات أو بعضها كالأرض، وأن تتحرك بعكس حركتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارةً بالقطبين، وأن لا يكون لها أوج وحضيض أصلاً، أو على هذا الوجه لبساطتها، وتساوي أجزائها؛ فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقضيه مشيئته..."⁽³⁾ وهو واجب الوجود سبحانه وتعالى وقد وردت الإشارة إلى هذا البرهان في كثير من النصوص القرآنية من ذلك: {أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ

(1) مناهج الأدلة في عقائد الملة: 151 وما بعدها. وينظر: أصول العقيدة الإسلامية، عبدالغني: 58 وما بعد.

(2) مفاتيح الغيب: 121/14 وما بعد . وينظر: تفسير آيات العقيدة: 2/483.

(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: 33 عند تفسيره الآية [164 البقرة]. وينظر: المواقف، الإيجي: 266، البيضاوي مفسراً: 357، تفسير آيات العقيدة: 89/1 وما بعدها.

مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا{[الفرقان:45] و﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا... أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص:71-72] و﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ. الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ. فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:6-8] إلى غيرها من الآيات؛ فهذه الآيات وأمثالها تشير إلى أَنَّ الصُّورَ المتعددة التي يُمكن أَنْ تعترى الموجودات، وتخصيصها بصورة معينة موافقة للحكمة والمنفعة المنوطة بها⁽¹⁾ والوجه الذي يحقُّ أَنْ نُخلق عليه . دليلٌ على وجودٍ مخصَّصٍ قادرٍ حكيمٍ واجبٍ الوجود، وهو الله . سبحانه وتعالى الموجدُ الذي أوجدها من العدم. وأما بخصوص صفاته - سبحانه وتعالى فقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عن صفات الله وأسمائه ومظاهرها في هذا الكون بأساليب متنوعة ومتعددة وبأدلة واضحة ومن شواهد الآيات الواردة في ذلك:

- قوله تعالى: { وَالْهُكْمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } [البقرة:163] وقوله: {..و لَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ..} [البقرة:255] وقوله: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}{[آل عمران:2] وقوله: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا..}{[الأعراف:180] وقوله: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِزَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا} [الكهف:109] وقوله: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا..} [الأنبياء:22] وقوله: {مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كُنُفُسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [لقمان:28] وقوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:11] وقوله: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْلَمُونَ بَصِيرٌ} [الحديد:4-3] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الواردة في هذا المجال. وبالنظر إلى هذه الآيات ومثيلاتها . نجد أنها أشارت إلى ما له . سبحانه وتعالى - من أسماء وصفاتٍ تُمِثلُ ذاته وقدرته

⁽¹⁾ ينظر: الكشاف للزمخشري:67/3، و مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي:55/3.

وحكمته وكل ما يليق به من كمال، وقد تحدّث كتب علم الكلام والتفسير باستفاضة عن هذه الصفات والأسماء وطريقة ثبوتها ومعانيها وما يترتب عليها من أحكام وآثار⁽¹⁾. وقد تعددت أساليب القرآن الكريم في إثبات الصفات والأسماء، وتنوعت؛ فمن أساليب تقريرية إلى أدلة عقلية وعلمية منها:

دليل التمانع: ويسمى أيضاً "التطارد" في إثبات وحدانية الله سبحانه في قوله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا..} [الأنبياء: 22] فقد تضمنت الآية هذا الدليل، ووجه ذلك أنها تنبّه إلى أنّ تعدد الآلهة يؤدي إلى تمانع ماله فساد السموات والأرض؛ "إذ لو كان معه إله يقدر على ما يقدر عليه الآخر، فإن توافقت إرادتهما، فالفعل إن كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد، وإن كان لأحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافي لإلهيته، وإن اختلفت لزم التمانع والتطارد"⁽²⁾ إلى غير ذلك من الأدلة الواردة في القرآن الكريم⁽³⁾.

ثانياً: وفي مجال النبوات:

وهي القضايا التي يبحث فيها عن إثبات نبوة الأنبياء وأحوالهم وصفاتهم. فقد تحدّث القرآن الكريم باستفاضة عن الأنبياء والرسل والحكمة من إرسالهم، ووقف طويلاً عند قصصهم مع أقوامهم، وذكر ما أجرى الله على أيديهم من المعجزات الدالة على إثبات نبوتهم، وبسط الحديث عن نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وإثباتها بالمعجزة

(1) الواجب في حقّه سبحانه وتعالى أنّه مُصَفِّ بكن صفات الكمال، ومنزّه عن جميع صفات النقص؛ إذ إنّ ألوهيته تستلزم ذلك، وقد وصف الله نفسه في كتابه بكل ما يليق به من كمال، وكان منهج السلف في إثبات الصفات يتمثل في أنّه سبحانه لا يُوصف إلا بما وصف به نفسه أو صفه به رسوله مع تنزيهه عن أن يشبه شيئاً من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين، وأمّا المتكلمون من علماء السنة فقد قسموا الصفات إلى أقسام متعددة وفصلوا كلّ ما يتعلق بها من قضايا وإشكالات بالجمع بين النقل والعقل. ينظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء الصفات، الشنقيطي: 3، منهج السلف في العقيدة: 87 وما بعد، أصول العقيدة الإسلامية: 96 وما بعد، منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام: 285. (2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: 34 في تفسيره [الآية 164 البقرة]، 428 في تفسيره [الآية 22 الأنبياء]. وينظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار: 279، المواقف للإيجي: 278-279، شرح العقيدة الطحاوية للغنيمي: 51، التحرير والتنوير لابن عاشور: 38/17 وما بعد في تفسيره [الآية 22 الأنبياء]، علم التوحيد عند خلص المتكلمين: 176 وما بعد.

(3) ينظر: تفسير آيات العقيدة: 138/1، 153، 166 وما بعد.

الخالدة التي هي القرآن الكريم نفسه ليكون خاتماً لرسول الله وأنبياؤه ، ويكون القرآن خاتماً للكتب المنزلة⁽¹⁾ . ومن شواهد الآيات التي تتحدث عن قضايا النبوة والرسالة:

قوله . تعالى . : {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة:23-24] وقوله: {إِكَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ} [البقرة:213] وقوله: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} [المائدة:67] وقوله: {وَمَا نُزِّلَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَ أَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الأنعام:48] وقوله: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ} [النحل:36] وقوله: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [سبأ:28] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الواردة في شأن الأنبياء والرسل.

ثالثاً: وفي مجال الغيبيات أو (السمعيات):

وهي القضايا التي لا سبيل إلى الإيمان بها ومعرفتها إلا عن طريق النقل قرآناً وسنةً - فقد تحدت القرآن الكريم بتوسع عن قضايا غيبية كثيرة مما لا يمكن للعقل الوصول إليها بمفرده كالיום الآخر وما يجري فيه من الحشر والتشر والميزان والصراط والجنة والنار وغير ذلك؛ لأنها لا تدخل في حدود إمكاناتيه، وهي أمور ممكنة في نفسها، ولا يقبل إيمان عبد حتى يصدق بها تصديقاً جازماً؛ لأن الإيمان بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن عليه يستلزم الإيمان بها، وقد نبه القرآن على دلالة العقل في بعضها

(1) ينظر : تفسير آيات العقيدة:1/255 وما بعد.

كمجيء اليوم الآخر، وما يجري فيه من حسابٍ وجزاءٍ لتحقيق عدالة الله - سبحانه. ومن شواهد الآيات الكثيرة الواردة في هذا المجال :

- قوله تعالى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة:28] وقوله: {وَإِنتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ} [البقرة:123] وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء:136] وقوله: {وَوَضَعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء:47] وقوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ النَّبِيِّينَ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِّرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشْدَكُمْ وَمِنكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٍ. ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَأَنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ} [الحج:75] وقوله: {أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ. وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ. أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ. إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [يس:77-83] وقوله: {أَبْخَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُشْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الرُّوجِينَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى. أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} [القيامة:40-36] إلى غير ذلك ..وبنظرة متأنية في هذه الآيات وغيرها في هذا المجال نجد أنها تضمنت كثيرًا من الأدلة العقلية بخصوص اليوم

الأخر بالإضافة إلى الأساليب التقريريّة والمؤكّدة بالقسم وغيره في المسائل الغيبية الأخرى، وهي الغالبية كما في بعض الشواهد التي سيقت آنفاً. ومن نماذج الأدلة التي نبتة عليها القرآن الكريم:

- الاستدلال بالنشأة الأولى على الثانية، أو قياس إعادة على الابتداء: في آيات كثيرة منها: {كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} [الأعراف:29] أي: كما أنشأكم ابتداءً يعيدكم في اليوم الآخر، وفي بعضها الإشارة إلى أن إعادة أسهل وأهون من الابتداء حسب مقاييس البشر. وإن كان بالنسبة إلى الله ليس هناك شيء أعظم وأخر أهون وأسهل عليه سبحانه. كما في قوله: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم:27] فجمع المتفرق أسهل من إيجاده وإبداعه عن عدم كما يقول الكندي (253هـ)⁽¹⁾، وهذا الدليل موجود أيضاً في قوله: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} [يس:79]؛ "إذ كل عاقل يعلم ضرورياً أن من قدر على هذه قدر على هذه، وأنه لو كان عاجزاً عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز.." ⁽²⁾.

- قياس إعادة على إحياء الأرض الميتة، أو خلق السموات والأرض، أو إخراج النار من الشجر الأخضر: فبخصوص القياس على إحياء الأرض الميتة هناك آيات كثيرة من ذلك: قوله تعالى: {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ} [فاطر:9] فالمراد بـ {كذلك النشور} "أي: مثل إحياء الموات نشور الأموات في صحّة المقدورية"⁽³⁾ فليس بينهما خلاف، وبشأن القياس على خلق السموات والأرض. فقد وردت آيات كثيرة أيضاً منها: {الْخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [غافر:57] ينبّه المولى سبحانه فيها على "أنه يعيد الخلائق يوم القيامة، وأن ذلك سهل عليه يسير لديه بأنه خلق السموات

(1) رسائل الكندي الفلسفية: 57،374-56/1. وينظر: القرآن والنظر العقلي: 201، تفسير آيات العقيدة: 370/1.

(2) شرح العقيدة الطحاوية: 407. وينظر: الكشاف للزمخشري: 99/2 [الأعراف:29]، 32/3 [مریم:66-67] البرهان في علوم القرآن للزركشي: 26/2 وما بعد، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: 138/3 [مریم:66-67]، دلائل التوحيد للقاسمي: 108.

(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: 575.

والأرض ، وخلقهما أكبر من خلق النَّاسِ بدءاً وإعادةً ؛ فمن قَدَرَ على ذلك فهو قادرٌ على ما دونه بطريقِ الأولى والأخرى..⁽¹⁾، وقياسُ الإعادةِ على إخراجِ النَّارِ من الشَّجَرِ الأخضرِ في قوله تعالى: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ}[يس:80] وهو يشيرُ بعبارةِ الكندي(253هـ) إلى خُروجِ الشَّيْءِ من نقيضه؛ فالنَّارُ مع كونها في غايةِ الحرارةِ واليبوسةِ تتولَّدُ من الشَّجَرِ الأخضرِ الممتلئِ بالرطوبةِ والبرودةِ؛ فمن قَدَرَ على ذلك فهو أولى بالقدرةِ على أن يخلقَ من الترابِ حيوانًا، وفي قوله: {..يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ..}[الأنعام:95] الحيُّ والميِّتُ متضادان " فكما لا يمتنعُ الانقلابُ من أحدِ الضدين إلى الآخر، وجب أن لا يمتنعَ الانقلابُ من الثاني إلى الأول؛ فكما لا يمتنعُ حصولُ الموتِ بعد الحياةِ وجب . أيضًا . أن لا يمتنعَ حصولُ الحياةِ بعد الموتِ "⁽²⁾ إلى غير ما ذكره العلماءُ في هذا الشأنِ .

- دليلُ الحكمةِ والعدالةِ، أو الصُّرورةِ الأخلاقيةِ: ويعتمدُ هذا الدليلُ على أنه يقتضي أن يكونَ هناك يومٌ يقتضئ فيه من الظالمِ للمظلومِ لتحقيقِ العدالةِ الإلهيةِ والحكمةِ الربانيةِ، ولا يكونَ لهذه الحياةِ معنىً بدونه⁽³⁾، ومن الآياتِ التي وردت فيها الإشارةُ إلى هذا الدليلِ: قوله تعالى: {لَوْ مَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بِاطِّلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ . أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفَجَّارِ}[ص:27-28] .. فاللهُ سبحانه وتعالى ما خلقَ الخلقَ عبثًا، وإنما خلقهم ليعبدوه، ثم يجمعهم يومَ القيامةِ، فيثيبُ المطيعَ ويعاقبُ الكافرَ، ومن مقتضى عدله وحكمته كما في الآيتين - أن لا يساويَ بينَ المؤمنينَ والكافرينَ، وبينَ الصالحينَ والظالمينَ، وبينَ المسالمينَ والظالمينَ، "وإذا كان الأمرُ كذلك فلا بدَّ من دارٍ أخرى يثابُ فيها هذا المطيعُ، ويُعاقبُ فيها هذا الفاجرُ، وهذا الإرشادُ يدلُّ العقولَ السليمةَ والفطرَ المستقيمةَ على أنه لا بدَّ من معادٍ وجزاءٍ؛ فإننا نرى الظالمَ الباغي يزدادُ مألُهُ

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: 91/4.

(2) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): 94/13.

(3) ينظر: الإسلام يتحدى، لوحي الدين خان: 99.

وولده ونعيمه، ويموت كذلك، ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده ؛ فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا، وإذا لم يقع هذا في هذه الدار؛ فتعين أن هناك داراً أخرى لهذا الجزاء والمؤاساة⁽¹⁾.

المطلب الثالث:

تميز الأدلة القرآنية وتفوقها على ما عداها من الأدلة

بعد أن وقف البحث في المطالبين السابقين على أهم ما يميز منهج القرآن الكريم في عرض القضايا العقديّة من حيث إعداد الإنسان وتهيئته للتفكير العلمي السليم وشموليّة المعالجة القرآنية وتنوع الأدلة والأساليب في إثبات هذه القضايا يقتضي المقام - حتى تكتمل متطلباته الوقوف على ما ذكره كبار أئمة علماء الكلام والتفسير من اشتغال القرآن على ما يحتاج إليه من الأدلة والبراهين والأساليب المتنوعة في إثبات ما يراد إثباته من مسائل العقيدة وترسيخها في الأفئدة ، وبيان تفوق ما تضمنه القرآن من الأدلة على أدلة المتكلمين والفلاسفة في كتبهم ومصنّفاتهم، وأهم ما تتميز بها، وذلك من خلال ما يأتي:

أولاً: موقف أئمة المتكلمين في أدلة القرآن وأقوالهم فيها:

اشتمل القرآن الكريم كما يرى المحققون - على جميع ما يحتاج إليه من الأدلة والبراهين المتنوعة في قضايا العقيدة ومسائلها، " فما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله . تعالى . قد نطق به، لكن أوردته على عادة العرب دون دقائق طرق أحكام المتكلمين"⁽²⁾، ويرى الشيخ أحمد الحرّاني (728هـ) في معرض حديثه عن أدلة القرآن، والموازنة بينها وبين أدلة الكلام " أن ما عند أئمة النظار أهل الكلام والفلسفة من الدلائل العقلية على المطالب الإلهية قد جاء القرآن بما فيها من الحق، وما هو أبلغ وأكمل منها على أحسن وجه مع تنزهه عن

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: 38/4 [ص: 28-29]. وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل بحاشية الكازروني: 163/5.

(2) البرهان في علوم القرآن للزركشي: 24/2 وقد نُسب هذا الكلام إلى الراغب الأصفهاني. ينظر: مقدمة تفسير القاسمي (محاسن التأويل): 348/1، قصة التفسير للشرباصي: 29.

الأغاليط الكثيرة الموجودة عند هؤلاء : فإنَّ خطأهم فيها كثيرٌ جدًّا ، ولعلَّ ضلالهم أكثر من هداهم وجهلهم أكثر من علمهم⁽¹⁾

ويُعَلِّلُ الإمامُ الزركشيُّ ذلك التَّميِّزَ " ...لأمرين :

أحدهما . بسبب ما قاله: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رِسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ } [إبراهيم:4]. والثاني أنَّ المائل إلى دقيقِ المحاجة هو العاجزُ عن إقامة الحجَّةِ بالجليِّ من الكلام؛ فإنَّ من استطاعَ أن يفهمَ بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم يتحطَّ إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون، ولم يكن ملغزًا...⁽²⁾. ومن هنا فقد اتفقت كلمة علماء الإسلام على اختلاف توجهاتهم ومشاربهم على أهمية أدلَّة القرآن و عظيم الانتفاع بها ؛ فأدلَّة القرآن . كما يقول الإمام أبو حامد الغزالي⁽³⁾ (505هـ) في معرض موازنته أدلَّة القرآن بأدلَّة المتكلمين " مثلُ الغذاءِ ينتفعُ به كلُّ إنسانٍ، وأدلَّة المتكلمين مثلُ الدَّواءِ ينتفعُ به آحادُ النَّاسِ، ويستضرُّ به الأكثرُ، بل أدلَّة القرآن كالماءِ ينتفعُ به الصَّبيُّ الرِّضيُّ والرَّجلُ القويُّ، وسائرُ الأدلَّة كالأطعمة التي ينتفعُ بها الأقوياء مرَّةً، ويمرضونَ بها أخرى، ولا ينتفعُ بها الصَّبيانُ أصلاً.."⁽³⁾ ويؤكدُ⁽⁴⁾ الباحثون في الدراسات القرآنية - أنَّ الأدلَّة القرآنية هي الأساس الذي اعتمدَ عليه المتكلمون في استنباط الأدلَّة العقلية والكونية، منهم ابنُ الوزير اليماني (840هـ) حيثُ يقول - في تنبيهه على عظم قدر القرآن واشتماله على الأدلَّة النافعة -: " إجماعُ علماء الإسلام من جميع الطوائفِ على أنَّ القرآنَ يفيدُ ما ادَّعت من معرفة أدلَّة التَّوحيد من غير ظنٍّ ولا تقليدٍ، وكما أنَّ المتكلمَ ينظرُ في كتب شيوخه ليتعلَّم منها الأدلَّة من غير تقليدٍ غيره؛ فكذلك من نظرَ في القرآن يتعلَّم منه الأدلَّة

(1) كما في: "جهد الفريضة في تحرير النصيحة"، للسيوطي:320 وهو تلخيص لكتاب "نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان" للشيخ ابن تيمية الحراني. وكتاب: السيوطي مطبوع مع كتاب آخر للسيوطي ، وهو: صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام.

(2) البرهان في علوم القرآن: 24/2. ينظر: تفسير آيات العقيدة: 86/1.

(3) إجماع العوام عن علم الكلام: 20. وينظر: المعجزة الكبرى القرآن.. للشيخ محمد أبو زهرة : 350.

(4) أكَّد (التأكيد) و وَكَّد (التوكيد) بمعنى ، والواو أفصح ينظر: مختار الصحاح "أكد" و"كد": 21،462 .

من غير تقليد، بل القرآن العظيم هو الذي تعلّم منه المتكلمون النَّظَر...⁽¹⁾ ثمَّ يوردُ كلامَ علماء الفرق المختلفة في ذلك، ويأتي علماء أهل البيت في مقدّمة مَنْ ذكرهم. ومن هؤلاء العلماء الذين أشادوا بما وردَ في القرآن من الأدلّة وخاصةً الذين اشتغلوا بعلم الكلام، وتعمّقوا فيه، وسبروا أغواره، وغاصوا لججّه، وألّفوا فيه :

قاضي الفضاة عبد الجبار الهمداني (415هـ) جامعُ تراثِ المعتزلة، فإنّه يقول . في معرض حديثه عن إعجاز القرآن في كتابه: "المُحيط في النبؤات" ما نصّه: "واتّفق فيه أيضًا استنباط الأدلّة التي توافقت العقول، وموافقته ما تضمّنهُ لأحكام العقل على وجهٍ يبهزُ ذوي العقول، ويحيزُهم؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ بيّنه على المعاني التي استخرجها المتكلمون بمعاناةٍ وجهد . بالأفاظ سهلةً قليلةً تحتوي على معانٍ كثيرةٍ كما ذكره عزَّ وجلَّ في نقض مذاهب الطبيعيين في قوله تعالى: { وفي الأرض قطع متجاورات.. [الرعد:4]، وفي الآيات التي ذكرها في نفي الثاني، وفي غير ذلك من الأبواب التي لا تُحصى. "⁽²⁾ .

القاضي عياض بن موسى بن عياض (544هـ) في كتابه: "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" في حديثه عن وجوه إعجاز القرآن: ". ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العربُ عامّةً ولا محمّدٌ صلى الله عليه وسلّم قبل نبوّته خاصّةً بمعرفتها ولا القيام بها والتّنبيه على طُرُق الحجج العقلية، والردّ على فِرَق الأمم ببراھين قويّة وأدلّة بيّنة سهلة الألفاظ موجزة المقاصد، رامَ المُتحدِّقون بعدُ أن يتصبّوا أدلّةً مثلها فلم يقدرُوا عليها كقوله تعالى: { أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادرٍ على أن يخلق مثلهم.. [يس:81]... "⁽³⁾ .

الفخر الرازي الأشعري (606هـ) وهو من كبار متكلمي المدرسة الأشعرية السنية، يقول في ذكر المعجزات العقلية ما نصّه: "بل أقرّ الكلُّ بأنّه لا يُمكن أن يُزاد في تقرير

(1) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان: 15.

(2) على ما ذكره ابن الوزير اليماني (840هـ) في كتابه: "العواصم والقواصم في الذبّ عن سنّة أبي القاسم" 3/539. وينظر: ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان: 19.

(3) 1/536. وينظر: العواصم والقواصم... لابن الوزير اليماني: 3/439.

الدلائل على ما ورد في القرآن⁽¹⁾، ويقول أيضًا: "لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه:5]، {إِنِّي يَصْعَدُ الْكَلِمَ الطَّيِّبُ} [فاطر:10] وقرأ في النفي: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى:11]..ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي"⁽²⁾.

- الشيخ سعيد النورسي (1379هـ) أحد أشهر العلماء المعاصرين الذي يقول: "حقاً إن معرفة الله المستنبطة بدلائل علم الكلام ليست هي المعرفة الكاملة، ولا تورث الاطمئنان القلبي في حين أن تلك المعرفة متى كانت على نهج القرآن الكريم المعجز؛ فإنها تصيح معرفة تامة، وتسكب الاطمئنان الكامل في القلب"⁽³⁾.

- الشيخ محمد أبو زهرة (1394هـ) من كبار الباحثين في الشريعة الإسلامية، يقول: "فإن القرآن قد اشتمل على مناهج في الاستدلال والجدل والتأثير تكشف عن أدق نوااميس النفس الإنسانية، وتبين شيئاً كثيراً من أحوال الجماعات النفسية والفكرية، وفيها الطب لأدوائها والعلاج الناجع لأمراضها والدواء الشافي لعلها وأسقامها"⁽⁴⁾ إلى غير ذلك مما قاله العلماء.

ثانياً: أهم مزايا الأدلة والأساليب القرآنية:

بعد هذا العرض المختصر لطبيعة الأدلة القرآنية، وما ذكره العلماء في الإشادة بها - يُمكن تلخيص أهم مميزات المنهج القرآني من خلال هذه الأدلة التي اشتمل عليها الكتاب الكريم مع الإشارة إلى أن هذه الميزات لا يمكن أن يحيط بها عقل بشري مهما ارتقى؛ لأنها جزء من وجوه إعجاز القرآن، وهي لا تحد، ولا تخلق على امتداد الزمان والمكان. بما يأتي:

(1) الأربعة في أصول الدين: 311.

(2) على ما ذكره الذهبي في ترجمته في كتابه: سير أعلام النبلاء: 501-502. وينظر: "جهد الفريحة في تحرير النصيحة"، للسيوطي: 320 وهو تلخيص لكتاب "نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطلق اليونان" للشيخ ابن تيمية الحراني. وكتاب: السيوطي مطبوع مع كتاب آخر للسيوطي، وهو: صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام.

(3) المكتوبات (المبحث الرابع، المسألة الثانية من المكتوب السادس والعشرين): 424.

(4) المعجزة الكبرى القرآن: 350.

مسايرته للفطرة البشرية في صوغ أدلته: فالقرآن الكريم يوجه الخطاب إليها مباشرة ليوقظ الجانب الأصيل فيها، وهو النقاء والاستقامة على الحق كما مر، ويُزيل عنها ما لحق بها من انحراف وزيف وفساد؛ فالذي يقرأ الآيات القرآنية التي تتحدث عن وجود الله لا يكاد يستشف من حديثه " أنه حديث إلى منكر لوجود الله تعالى بقدر ما يشعر إلى أنه حديث إلى غافلٍ عن ذلك الوجود؛ فكأن الاعتراف واقع، ولكن الداء في الغفلة عما يجب لهذا الوجود. وحديث القرآن بهذه الكيفية يلفت نظر الإنسان إلى فطرته، ويمهد الطريق لعودة الإنسان إلى الإيمان بربه؛ وذلك لإشعاره أنه ليس من شأنه أن يكون منكرًا بل غافلًا من ذلك على سبيل المثال قول الحق: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتَى تُصْرَفُونَ } [يونس: 31-32]...⁽¹⁾

- إقناعه للعقل وإمتاعه للعاطفة: ذلك لأن الإنسان قد اشتمل على جانبين: جانبٍ عقليٍّ وجانبٍ عاطفيٍّ وجدانيٍّ، والاعتماد على جانبٍ دون جانبٍ لا يوصل إلى الحقيقة الجازمة، بل لا بد من مراعاة الجانبين؛ لأن ما يُقنع العقل ربما لا يُمتع العاطفة، وما يُمتع العاطفة ربما لا يُقنع العقل، وهذا ما مشى عليه القرآن الكريم في منهجه الرائع من مخاطبة الجانبين معًا على حد قول الشيخ محمد عبدالله دراز (1377هـ): "وأما أن أسلوبًا واحدًا يتجه اتجاهًا واحدًا، فيجمع بين يديك هذين الأسلوبين معًا كما يحمل الغصن الواحد من الشجرة أوراقًا وأزهارًا وثمارًا معًا، أو كما يسري الروح في الجسد والماء في العود الأخضر؛ فذلك ما لا نظفر به في كلام بشر فمن لك إذا بهذا الكلام الواحد الذي يجيء من الحقيقة البرهانية الصارمة بما يُرضي حتى أولئك الفلاسفة المتعمقين، ومن المتعة الوجدانية الطيبة بما يُرضي حتى هؤلاء الشعراء المرحين؟ ذلك الله رب العالمين، فهو الذي لا يشغله شأن عن شأن، وهو القادر على أن يخاطب العقل والقلب معًا

(1) نظرات في المنهج الاستدلالي في القرآن، د. محمود مزروعة: 56. وانظر: التفكير الفلسفي في الإسلام، الدكتور عبدالحليم محمود: 50، تفسير آيات العقيدة: 57/1.

بلسان، وأن يمزج الحقَّ والجمال معاً يلتقيان ولا يبغيان...⁽¹⁾ إلى غير ذلك مما قيل في هذا المجال.

منا سبته لجميع العقول والمستويات الفكرية وسهولته ويسره وخلوه من التّعقيدات والإغراق في التجريد والنظريات الصّرفة التي حفلت بها أدلة المتكلمين والفلاسفة؛ فالقرآن الكريم يقدّم للإنسان ما يناسب ذكائه واستعداده من الأدلة، ولا يتوقّف فهمها على علم فائق ودراسة واسعة للعلوم والفلسفات، يفهمها العوام كما يفهمها الخواص، ويجد كل فريق ما يناسبه، وهذا لا يتحقّق إلا في القرآن الكريم يقول الشيخ دراز بعد أن بيّن أنّ اختلاف مستويات الناس علماً وفهماً يستدعي أن يُخاطب كلُّ فريق بما يناسبه. "وأما أنّ جملةً واحدةً تُلقى إلى العلماء والجهلاء وإلى الأذكى والأغبياء وإلى السوقة والملوك، فيراها كلُّ منهم مقدّرةً على مقياس عقله وعلى وفق حاجته فذلك ما لا تجده على أتمه إلا في القرآن الكريم...⁽²⁾ ومن نماذج ما يمكن الاستشهاد به في هذا المجال قوله - تعالى: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ} [الطارق:5-7] فإنه يُثير لدى العامي إيماناً بعجيب القدرة الإلهية، ويثير لدى عالم الحياة الذي يعرف كثيراً عن أسرار الحياة إيماناً أعمق، كما أنّ القرآن الكريم يستخدم الأدلة السهلة التي توصل إلى المطلوب من أقصر الطرق بعيداً عن الإغراق في التجريد والنظريات الصّرفة كما فعل الفلاسفة، ولم ينهمك في الاستدلالات المنطقية الإرسطية والتفريعات المنقسمة إلى مقدمات كبرى وصغرى ونتائج كما فعل المتكلمون، وإنما هو منهجٌ قد اعتمد الإقناع مراعيًا في ذلك الفطرة الإنسانية وهي قدرٌ مشتركٌ بين الناس جميعاً. وفي الاستدلال على وجود الله ينطلق القرآن من المحسوس والمحسوس قريبٌ من الإنسان سهل التناول عقلياً⁽³⁾ لا يتسنّى لأحد إنكارها، وتظهر السهولة أيضاً. في سوقه الأدلة على هيئة جزئية مفصلة تدركها النفس بسهولة ويسرٍ عكس الأدلة الوضعية التي تقوم على التعميم الذي يحتاج من تفصيل إلى تفصيل مما يؤدي إلى شعور القارئ بالملل؛ فيضيق الهدف المنشود⁽⁴⁾.

(1) النبأ العظيم : 115. 116. وانظر: علم الكلام القرآني (بحث)، د. بلقاسم الغالي: 98، تفسير آيات العقيدة : 55/1.

(2) النبأ العظيم : 113.

(3) انظر: علم الكلام القرآني (بحث) : 96. 97.

(4) انظر: تفسير آيات العقيدة : 54/1. 55.

الخاتمة:

وفي نهاية المطاف - يمكن الإشارة إلى أهم النتائج التي انتهت إليها هذه الدراسة المختصرة، وهي بإيجاز:

أن القرآن الكريم الذي أنزله الله . سبحانه وتعالى . على نبيه محمد . عليه الصلاة والسلام . ليكون خاتماً للأنبياء والرسل . قد تضمن كل ما يحتاج إليه في هداية الإنسانية وخصوصاً الجانب العقدي . من ذلك الآيات الكثيرة التي تخاطب الفطرة السليمة النقية في الإنسان، وتحثه على التفكير والتدبر في هذا الكون ليصل من خلال ذلك إلى الإيمان بوجود الإله الخالق المبدع الكامل؛ فالدعوة إلى العقيدة الصحيحة مقصد من أهم المقاصد التي نزل القرآن من أجلها.

- لا يكتفي القرآن الكريم . في عرضه للعقائد الدينية بالإخبار عنها وتقريرها والأمر باتباعها والرد على منكريها، بل يعرضها مشفوعة ببراهينها العقلية القاطعة بصورها السهلة البعيدة عن التعقيد والإغراق في التجريد.

. لم يكل القرآن الكريم الإنسان إلى نفسه للوصول إلى ما يتعلق بالعقيدة ، بل فصل مسائلها التي أخبر بها أيما تفصيل، وأشار إليها إشاراتٍ بليغة في مواضع مختلفة من سورته وآياته، وقد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة ، وما من سبيل لإثبات العقيدة إلا وكتاب الله قد سبق إليه وقرره، ووضع الأسس التي يجب أن تحتذى.

. تميّز المنهج القرآني في الدعوة إلى العقيدة بخصائص انفرد بها، ولم تترقر في غيره من المناهج الكلامية والفلسفية؛ لذلك ينبغي أن يكون القرآن الكريم هو المنطلق والأساس في بناء العقيدة الصحيحة؛ لأنه دليل قطعي سمعي عقلي ! وعلى من يتصدى للدفاع عن العقيدة والشرع أن يتعرف على الدلائل العقلية المحضة بعد استيعابه للأدلة القرآنية ليرد بها على من لا يؤمن بالقرآن وما جاء به.

فهرس المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:

- . الأربعين في أصول الدين، فخرالدين محمد بن عمر الرازي(606هـ) ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الطبعة الأولى(1353هـ).
- . الإسلام يتحدّى (مدخل علمي إلى الإيمان) ، وحيدالدين خان ، ترجمة ظفر الإسلام خان ، مراجعة وتقديم: دكتور عبد الصبور شاهين ، الطبعة الأولى (1969م).
- . إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق : إحسان قاسم الصالحي ، الطبعة الثالثة (1420 هـ 1999م) ، دار "سوزلر" للنشر . استانبول.
- . إشارات المرام من عبارات الإمام ، كمال الدين أحمد البياضي (من علماء القرن الحادي عشر الهجري) ، تحقيق: يوسف عبدالرزاق ، الطبعة الأولى(1368هـ-1949م)، شركة مطبعة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- . أصول العقيدة الإسلامية، د.عبد المقصود عبدالغني ، (1406هـ) مكتبة الزهراء القاهرة.
- . إجماع العوام عن علم الكلام، حجة الإسلام محمد بن محمد الغزالي(505هـ) ، (1350هـ-1932م).
- . الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، القاضي أبو بكر الباقلاني(403هـ)، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، الطبعة الثالثة(1413 هـ 1993م)، مكتبة الخانجي مصر.
- . أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) بحاشية الكازروني ، ناصرالدين البيضاوي (685هـ)، دار صادر. بيروت.
- . إثبات الحقّ على الخلق في ردّ الخلافات إلى المذهب الحقّ من أصول التوحيد ، ابن الوزير(840هـ)الطبعة الأولى (1403 هـ 1983م) ، دار الكتب العلمية . بيروت.

- كتاب البداية من الكفاية في الهداية في أصول الدين، الإمام نورالدين الصابوني(580هـ)، تحقيق: د. فتح الله خليف، (1969م)، دار المعارف - مصر.
- . البرهان في علوم القرآن ، الإمام بدرالدين الزركشي (794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة . بيروت.
- . البيضاوي مفسراً، د. عبد العزيز حاجي، الطبعة الأولى (1434هـ-2013م)، دار النوادر- سورية.
- . التحرير والتأوير، محمد الطاهر بن عاشور(1393هـ) ، (1984م)الدار التونسية للنشر.
- التّحقيق التام في علم الكلام ، محمد بن الحسين الظواهري، الطبعة الأولى(1358هـ-1939م)، مكتبة النهضة المصرية.
- . ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، أبو عبدالله محمد بن مرتضى اليماني المشهور بابن الوزير(840هـ)، الطبعة الأولى(1404هـ-1984م) دار الكتب العلمية بيروت . لبنان.
- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني (816هـ) ، ضبط: محمد بن عبدالحكيم القاضي ، الطبعة الأولى(1411هـ-1991م)، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني.
- تفسير آيات العقيدة ، الدكتور عبدالعزيز حاجي ، الطبعة الأولى(1424هـ-2003م)، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة.
- . تفسير(جزء عمّ)، الشيخ محمد عبده ، الطبعة الثالثة (1341هـ)، مطبعة مصر.
- تفسير القرآن العظيم ، الحافظ عماد الدين ابن كثير الدمشقي (774هـ)، الطبعة الثانية(1407هـ-1987م)، دار المعرفة . بيروت . لبنان.
- . التفكير فريضة إسلامية ، عباس محمود عقاد ، نهضة مصر للطباعة والنشر.
- . التفكير الفلسفي في الإسلام، الدكتور عبدالحليم محمود ، الطبعة الثانية، دار المعارف . مصر .

- الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي)، أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي(671هـ)، الطبعة الثالثة عن طبعة دار الكتب المصرية (1387هـ-1967م)، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر .
- صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، جلال الدين السيوطي(911هـ)، ومعه: (جهد الفريحة في تجريد النصيحة) علق عليه: علي النشار ، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان.
- دلائل التوحيد، الشيخ محمد جمال الدين القاسمي(1332هـ)الطبعة الأولى(1405هـ-1984م)، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان.
- رسائل الكندي الفلسفية ، تحقيق: محمد عبدالهادي أبو ريدة، مطبعة الاعتماد(1369هـ-1950م) ، دار الفكر العربي . مصر.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي(279هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاکر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي . بيروت.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبدالله الذهبي(748هـ) تحقيق: مجموعة بإشراف: شعيب الأرنؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة.
- شرح الأصول الخمسة، قاضي القضاة عبدالجبار بن أحمد (415هـ) ، تحقيق: عبدالكريم عثمان، الطبعة الأولى(1384هـ-1965م)، مكتبة وهبة . القاهرة.
- شرح جوهرة التوحيد، الشيخ إبراهيم الباجوري (1277هـ)، نسقه وخرج أحاديثه: محمد أديب الكيلاني ، عبدالكريم تتان ، (1392هـ-1972م).
- شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي(746هـ) ، الطبعة الثامنة (1404هـ-1984م)، المكتب الإسلامي.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، ابن قيم الجوزية(701هـ) ، الطبعة الأولى(1323هـ) ، المطبعة الحسينية المصرية.

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي(544هـ)،
الطبعة الثانية (1407هـ)، دار الفيحاء . عمان.
- صحيح البخاري بشرح فتح الباري، محمد بن إسماعيل البخاري(256هـ) ، ابن حجر
العسقلاني(852هـ) ، دار المعرفة . بيروت.
- صحيح مسلم بشرح النووي ، مسلم بن حجاج القشيري(261هـ)، محي الدين
النووي(676هـ)، الطبعة الأولى(1414هـ1994م)، دار الخير. دمشق.
- طوابع الأنوار من مطالع الأنظار، القاضي ناصرالدين البيضاوي(685هـ)، تحقيق:
عباس سليمان، الطبعة الأولى(1411هـ 1991م)، المكتبة الأزهرية للتراث . القاهرة.
- العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث، د. سعدالدين السيد صالح ، الطبعة
الثانية(1411هـ 1991م) ، دار الصفا للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة.
- . علم التوحيد عند خالص المتكلمين، د. عبد الحميد علي عز العرب،(1407هـ 1987م)،
دار المنار
- علم الكلام القرآني (بحث) ، د. بلقاسم الغالي ، منشور في: مجلة المسلم
المعاصر(محكمة)، العدد: 62، السنة: 16، (1412هـ 1992م).
- العواصم والقواصم في الذبّ عن سنّة أبي القاسم، محمد بن إبراهيم الوزير
اليمني(840هـ)، تحقيق: شعيب أرنؤوط، الطبعة الثالثة (1415هـ 1994م)،مؤسسة
الرسالة للطباعة والنّشر والتّوزيع . بيروت.
- . غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري (850هـ)،
تحقيق: الشيخ زكريا عميرات ، الطبعة الأولى(1416هـ)، دار الكتب العلمية .
بيروت.
- . فضائل القرآن، ابن كثير الدمشقي، دار مرجان للطباعة . القاهرة.
- القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين ، محمد الصادق إبراهيم عرجون ،
الطبعة الثانية (1410هـ 1989م)، دار القلم . دمشق ، الدار الشامية . بيروت.

- القرآن والنظر العقلي، فاطمة إسماعيل محمد إسماعيل ، الطبعة الأولى(1413هـ-1993م)، المعهد العالي للفكر الإسلامي . هيرندن . فيرجينيا . الولايات المتحدة الأمريكية.
- قصة التفسير، الدكتور أحمد الشرباصي، الطبعة الثانية (1978م)، دار الجيل . بيروت.
- . القول السديد في علم التوحيد، الشيخ محمد أبو دقيقة، تحقيق: الدكتور عوض الله حجازي ، الإدارة العامة لإحياء التراث.
- كبرى اليقينيات الكونية، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، (1413هـ-1993م)، دار الفكر المعاصر . بيروت.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله الزمخشري (538هـ)، الطبعة الثالثة، (1407هـ-1987م)، ومعه كتب أخلاي، دار الكتاب العربي . بيروت.
- . لمحات من الفكر الكلامي، د. حسن الشافعي (1413هـ-1993م)، دار الثقافة العربية . القاهرة.
- متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار الهمذاني(415هـ) ، تحقيق: د. عدنان زرزور، دار التراث . القاهرة.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل(تفسير النسفي)،عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي(701هـ)دار إحياء الكتب العربية.
- المدخل إلى دراسة علم الكلام ، الدكتور حسن الشافعي ، الطبعة الثانية(1411هـ-1991م)، مكتبة وهبة . القاهرة.
- . المعجزة الكبرى القرآن ، محمد أبو زهرة ، الناشر: دار الفكر العربي.
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، أبو عبدالله محمد بن عمر الرازي(606هـ)، الطبعة الثالثة (1420هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- . المكتوبات ، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثانية (1413هـ 1992م)، دار "سوزلر للنشر" فرع القاهرة.
- مناهج الأدلة في عقائد الملة ، ابن رشد(595هـ)، تحقيق: د. محمود قاسم، الطبعة الثالثة(1969م) ، مكتبة الأنجلو المصرية.
- منهج السلف في العقيدة، د.حمدي عبدالعال، الطبعة الثانية(1406هـ 1986م)، دار القلم . الكويت
- . منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، جمعة أمين عبدالعزيز، الطبعة الثالثة (1414هـ 1993م) ، دارالدعوة للطبع والنشر والتوزيع الاسكندرية.
- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ، محمد الأمين الشنقيطي(1393هـ) ، (1401هـ) ، توزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- . النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، الدكتور محمد عبدالله دراز ، (1404هـ 1984م) دار القلم . الكويت.
- . المواقف في علم الكلام ، عضد الدين الإيجي (756هـ) مكتبة المتنبى . القاهرة.
-